



غدت سوريا، على ما يبدو، العقدة الأكثر تناولاً في لقاءات الرئيسين، الروسي فلاديمير بوتين والأميركي دونالد ترامب. فainما حل الرجال، أو اجتمعا تحت مظلة دولية معينة، (طالما أن قمة بينهما باتت غير واردة مع تنامي الأدلة على تدخل روسيا في الانتخابات الرئاسية الأميركية) يخرج من جعبتهما اتفاق بشأن سوريا. وهذا لافت للانتباه، بقدر ما يحتاج إلى تفسير. ففي الثامن من شهر يوليو/ تموز الماضي، توصل الرئيسان خلال قمة الاقتصادات العشرين الكبرى إلى اتفاق هامبورغ الذي أخرج منطقة جنوب سوريا الغربية من اتفاقيات خفض التصعيد التي أقرت في أستانة مطلع مايو/ أيار الماضي، ونص على وقف إطلاق النار، ونشر قوات من الشرطة العسكرية الروسية، وإبعاد الميليشيات التابعة لإيران من المنطقة. وعلى هامش قمة دول آسيا والمحيط الهادئ (ابيك) في فيتنام، يوم 11 نوفمبر/ تشرين الثاني الجاري، توصل الرئيسان إلى بيان مشترك بشأن كيفية المضي في إدارة الصراع في سوريا، بعد انتهاء الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية .

وفيما بدا أن الاتفاق الأخير يؤسس لمرحلة تقاسم نفوذ بين القوتين الكبارين، لأنه ينظم الوجود العسكري الروسي والأميركي على ضفتي نهر الفرات، ويعن حصول احتكاكٍ بين وكلائهما المحليين على الأرض، فالواضح أن جوهر اتفاقيات هامبورغ في ألمانيا ودا نانغ في فيتنام (أقر تفاصيم عمان الثلاثي بخفض التصعيد في الجنوب السوري) هو التعاطي مع الوجود الإيراني في سوريا، والذي بدأ يتحول بعد هزيمة "داعش" إلى العقدة الرئيسية في المسألة السورية .

وبعد أن فشلوا في احتواء إيران، ومنعها من السيطرة على الجزء الأكبر من الباادية السورية، وبلغ مدينة البوكمال التي تمثل نقطة تلاقي نفوذها في سوريا والعراق، عبر عنها بجلاء التقاء ميليشيات إيران على طرفي الحدود بين البلدين، بات الأميركيون يعولون على الروس، ل القيام بهذه المهمة، لأن البديل، كما تروج واشنطن، هو انتقال الصراع الإسرائيلي - الإيراني منخفض

المستوى حاليا في سوريا إلى مواجهة مفتوحة، تضع روسيا أمام اختبارٍ صعب، يفرضه صدام بين "صديقين" لها هما إيران وإسرائيل التي ذكرنا مسؤول روسي، أخيرا، بأهمية الحفاظ على أمنها، من باب أنه يعيش فيها مليون مواطن يحملون الجنسية الروسية .

كانت روسيا قد وافقت في اتفاق هامبورغ على إنشاء منطقة عازلة بعمق يتراوح بين 40 – 50 كلم، تديرها بنفسها لمنع أي احتكاكٍ بين "صديقها" في الجنوب السوري، وهو ما عاد وأكد عليه تفاهم عمان أخيرا، بحسب مسؤول أمريكي، قال إن الاتفاق "ينص على جلاء جميع القوات الأجنبية عن جنوب غربي سوريا، بما فيها القوات الإيرانية والفصائل المسلحة التابعة لها، ... وبقاء المنطقة تحت سيطرة فصائل المعارضة، حتى إتمام التسوية السياسية". وعلى الرغم من أن موسكو عادت وتبرأت من هذا "التأويل" للاتفاق، فليس هناك مجال للشك في أن للروس مصلحة حقيقية في إخراج إيران وأدواتها من سوريا، بعد أن انتهت الحرب فيها، كما رأى أمين عام حزب الله أخيراً. لكن روسيا تريد خروج القوات الأمريكية المتمركزة شرق سوريا أيضاً. ويبدو أن موسكو بدأت تطرح هذه المقايسة على الطرفين، الأميركي والإيراني، بحيث تخلو لها الساحة السورية تماماً. لذلك، يبدو من المهم الربط بين بيان دا نانغ والزيارة الخاطفة التي قام بها الرئيس بوتين إلى طهران مطلع الشهر الجاري، وشاع حينها أنها جاءت لطمأنة الإيرانيين بعد زيارة ملك السعودية موسكو. طبعاً من الصعب أن يفهم المرء كيف يمكن أن يتකّب رئيس روسي عناء زيارة طهران لشرح أسباب استقباله رئيس دولة أخرى. ذهب بوتين إلى هناك، لاستمزاج رأي المرشد في فكرة مقايضة الانسحاب الإيراني بالانسحاب الأميركي قبل لقائه المرتقب مع ترامب في دا نانغ .

هل تقبل طهران بهذه المقايسة التي لمح إليها أمين عام حزب الله، حسن نصر الله؟ لا يبدو هذا واضحاً على الرغم من أن الوجود العسكري الأميركي شرق سوريا يهدّد النفوذ الإيراني في العراق. هل تقبل واشنطن بهذه المقايسة، للحد من النفوذ الإيراني، على الرغم من أن وجودها العسكري شرق سوريا يؤمن لها تمركزاً جيداً. استراتيجية بين قوى الإقليم الكبرى؟ لا يبدو هذا واضحاً أيضاً، الشيء الوحيد الواضح الآن أن الصراع على سوريا لم يبلغ بعد نهايته، ولن يبلغها إلا بخروج كل القوات الأجنبية منها.

المصادر:

العربي الجديد